فزعات العصبيات الفرعونية

بقلم: د.مصطفى حسين بطيخة

تم نشر المقال التالي في 11 كانون الأول 2025 في جريدة زمان الوصل الالكترونية:

https://www.facebook.com/share/p/1AkEBMG6Lr/

الفرعونية الدينية –وليس بمعناها الحضاري العظيم– هي أعلى درجات الخصومة والنكران للرب (**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِي**)، وهو في ذلك أعلى بدرجات من الشيطان (ابليس) الذي هو ملاك استكبر (**فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ۞إِلَّا إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ**)، وابليس يعترف بعزة الله بعكس فرعون (**قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ**).

والفرعونية الدينية إنما هي نظام متكامل وليست فرداً، وهذا النظام يعتمد على ثلاثة دعائم: الأولى منها هي الفرعون الذي يملك السلطة العسكرية وسطوتها، و هو الجبار الذي يدعي صفات الربوبية التي لاتحكمها القوانين، فهو على الأرض (**ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ**) وهو (**فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ**) وهو (**لا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا**) وهو (**لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ**)، أما الدعامة الثانية فهو هامان كاهن الرب فرعون الذي يبرر دينياً ألوهيته وتصرفاته (**وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَاهَامَانُ ابْنِ لِي صَرْحًا لَعَلِّي أَبْلُغُ الْأَسْبَابَ۞ أَسْبَابَ السَّمَاوَاتِ**)، أما الدعامة الثالثة فهو قارون رجل المال الذي كان نموه غير طبيعي، في نظام كيانه التحالفات والفساد، هذا المال الفاسد بحماية الفرعون هو من يدعي قارون (**إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي**).ومع هذا الثالوث يتحقق الاستبداد الثاني من أنواع الاستبداد وهو الاستبداد على مستوى الأمة (راجع مقالي الاستبداد والعصبيات: قصة سورية على جريدة زمان الوصل).

بقي القول أن النظام الفرعوني المستبد بالمفهوم الديني هو نظام بدائي قديم، لذلك جاءت الأديان لتطرح النظام المتطور وهو نظام الاختلاف كنقيض للاستبداد وأن الاختلاف هو الفطرة والأصل أما الاستبداد فهو الشذوذ المحرم، وفطرة الاختلاف هذه تخضع لها

جميع الحيوات (**أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا**) وكذلك (**وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ**)، (**وَلَوْ شَاء رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلاَ يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ**).

في مقالي السابق على (زمان الوصل) بعنوان (الاستبداد والعصبيات: قصة سورية) تحدثت كيف أن رأس هرم النظام الاستبدادي فرعون يسعى دائماً لإنشاء العصبيات والتي عَرَّفْتُها في نفس المقال ومقالات أخرى من أنها جماعات من لون واحد ينتمي أفرادها لحدث تاريخي ديني أو اجتماعي أو مناطقي أو قومي أو عرقي، وهو يعتمد على فزعات هذه العصبيات، وأن تَفْزَعَ لأحد في اللغة العربية أي أن تساعده وتغيثه وللطرف الآخر أن تخيفه وترهبه بمعنى الخوف المرادف للفزع. والفزعات في معناها الشعبي لدينا تحمل معنى التحزب لشيء دونما تفكير، فقد يفزع الجار لجاره لمجرد طلب الفزعة أو الاستغاثة، والولد لأبيه، والقريب لقريبه، وابن العشيرة لعشيرته، والمتعصب ايديولوجياً لايديولوجيته، وفي هذه الأيام وعصر الانترنيت أخذت هذه الفزعات تسيطر على وسائل التواصل الاجتماعي.

إن أهم مايميز هذه الفزعات أنها وجدت للإرهاب واستعراض القوة وبالتالي هي غير منضبطة وعمياء، ولاتحمل حرمة لأحد، لاكهلاً ولا طفلاً ولا امرأة ولاحتى لقامة مجتمعية أو فكرية لها ماض مشرف، وهي لاتعرف حدوداً فكل شئ مباح وقد يصل الأمر للقتل أو أكثر بشاعة، أليس ذلك مافعله سيدنا موسى عليه السلام وذلك بالقتل بغير حق حين فزع لمن ينتمي لعصبيته (راجع مقالي السابق: الاستبداد والعصبيات)، فجاء النهي الإلهي على لسانه معتبراً أن هكذا فزعات عصبوية إنما هي من عمل الشيطان (**قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ**)، وكان هذا النهي أول رسالة حملها موسى للبشرية.

ويبقى القول أن فزعات العصبيات الفرعونية تتناقض مع الوطن وتعريف الوطنية التي أساسها الإيمان بالاختلاف وإنكار سلطة العصبيات التاريخية (راجع مقالي: الايديولوجيات الأممية وقتل الوطنية، على جريدة زمان الوصل)، وبالتالي فالوطن

المختلف بألوانه هو من الفطرة التي فطر الله الحياة بها كما بينت أعلاه قبل أن يحرفه النظام الفرعوني باتجاه عصبيات الاستبداد لا الاختلاف، فما أحوجنا أن نعود نحن السوريون إلى فطرة الوطن، فطرة الاختلاف.

مكتبة حسين بطيخة الإلكترونية